كتاب الأسرة القبطية

الحب في حياة الطفل والحدث

دكتور/ موريس تاوضروس

اصـــدار
لجنــة الأسرة
أسقفية الخدمات العامة والاجتماعية
بطريركية الأقباط الأرثوذكس

القاهرة ١٩٨٥

كتاب الأسرة القبطية

الحب في حياة الطفل والحدث

دكتور/ موريس تاوضروس

اصـــــــدار
لجنـة الأسرة

أسقفية الخدمات العامة والاجتماعية
بطريركية الأقباط الأرثوذكس

القاهرة ١٩٨٥

المحتـــوى

صفحة

الحب فى السنوات السابقة على المدرسة (١)

كتب أحد الفلاسفة الأمريكان ، كتابا عن الطفولة ، أشار فيه الى أن الطفل يحتاج لكى ينضج ويصبح مستقلا ، الى زمان أطول مما يحتاج الحيوان الصغير • يحتاج تعلم الانسان الى فترة تصل الى ٢٥ سنة ، بينما يمكن للفرخة الصغيرة أن تتعلم فى ساعات ، وللقط الصغير أن يتعلم فى أيام ، وللمهر أن يتعلم فى أسابيع • ولكن ليس معنى ذلك أن عالم الحيوان يسمو عن عالم الانسان ، فالغرائز التى تحكم عالم الحيون تظل ثابتة لا تتطور الا فى حدود ضيقة • ومهما قدمت للحيوان الصغير فى البداية من مساعدة ، فان الحيوان فى نموه لا يستطيع أن يبتعد عن مسلكه الغريزى ، ويظل محكوما به •

وبالنسبة للطفل ، فان عدم تقيده بالمسلك الغريزى ، يكون بالنسبة له امتياز أو منفعة • ان قدرة الطفل على أن يتصرف باستجابات مختلفة وليست محدودة ، يعطيه الفرصـــة الى نمو أفضل وتجعله يتحرك فى مجال أرحب وأوسع ، ويصبح للطفولة هنا شان مهم ،

---

(١) المرجع الرئيسى لهذه الدراسة :
W. Taliaferro Thompson : An Adventure in Love (Richmond, Virginia : John Knox Press 1956).

أما المراجع الأخرى فنشير اليها فى حينها •

لكى تجعل الرجل ـ فيما بعد ـ ما هو عليه . ولقد صدق من قال عن الطفل أنه « أبو الرجل » ، ذلك لأن الطفل « هو المستقبل فى دور التكوين ، فكما يكون الطفل سينشأ الرجل ، وكما يكون جيل الأطفال سيأتى جيل الكبار(١) » .

يقول الفليسوف الانجليزى برتراندرسل :

ان ٩٥٪ من العادات الذهنية التى تتخذها فى فترة الطفولة ، تستمر معنا طول العمر .

وقال هيجل :

الطفل هو المستقبل . وكثير من بيوتنا تربى لهذا المستقبل آلافا من المتاعب .

وقال الدكتور طه حسين :

ليست العبرة فى أن نحب أولادنا ، بل فى أن نعرف كيف نربيهم (مجلة الشباب . أكتوبر ١٩٧٥ ـ ص ١١ ، ١٢ ، ١٥ ، ٢٧) .

وعلى ذلك فان اطالة فترة الطفولة عند الانسان ، ترتبط بسمو الانسان وتأكيد امتيازه عن الحيوان وتحقيق تقدمه ونموه .

ان هذه القدرة على التكيف ، والقدرة على النمو التى يتمتع

(١) دكتور نجيب اسكندر ابراهيم : الطفل : أبو الرجل . (مجلة الحياة . مارس ١٩٥٩ ص ٩٧) .

بها الطفل فى سنواته المبكرة ، هى التى تثير اهتمامنا وتدفعنا لأن نبذل كل ما فى وسعنا لكى نوجه الطفل فى نموه توجيها سليما صحيحا .

على اننا لا نستطيع أن نحقق معنى هذه السنوات المبكرة فى حياة الطفولة وقيمتها ، وبالتالى مسئوليتنا نحو الطفل ونحو رعايته، ما لم نعرف أولا شيئا عن نمو الطفل فى هذه الفترة من حياته .

يتأثر نمو الطفل بنمو قدراته وامكانياته التى تزود بها ، سواء عن طريق الوراثة أو عن طريق البيئة التى عاش فيها . وهناك من الباحثين من يشدد على أهمية العوامل البيولوجية ، وآخرون يشددون على أهمية العوامل الاجتماعية ، لكن معظم الباحثين الآن يربطون بين العاملين البيولوجى والاجتماعى من جهة التأثير على حياة الطفولة .

(١) النموالجسمى :

فى مراحل النمو ، نكون فى البداية ، ازاء طفل صغير رضيع لين العظام ، يعجز عن القيام بأى عمل ، ضعيف البنية ، قد يقوى على رفع رأسه ولكنه يعجز عن أن يديرها ، وهو يستلقى على فراشه ، ولكنه لا يقوى على الجلوس أو الوقوف . انه يعتمد اعتمادا كليا على انسان أكبر منه لكى يمكنه أن يحتفظ بحياته ويحقق نموه .

ولكن ما أسرع ما يتعلم الطفل هذا السلوك الذى كان يعجز عنه فيما مضى ، فيقوى على الجلوس والوقوف بمفرده ثم المشى وهو يمسك باصبع أمه . ثم يزداد النمو ، فاذا به يقفز ويجرى ويركض بعيدا عنا ، الى غير ذلك من مظاهر النمو المختلفة .

ولعل أبسط السبل للتعرف على هذا النمو وقياسه هو تتبع وزنه وطوله ، فالطفل فى مدة ستة أشهر يتضاعف وزنه ، ويصل الى ثلاث مرات فى الوزن بعد سنة من ميلاده ، وعندما يبلغ السادسة من عمره يزداد وزنه الى سبعة أضعاف وزنه عند الميلاد ٠ وبالنسبة للطول ، فانه ينمو بسرعة فى السنتين الأوليين،وعندما يبلغ السادسة من عمره يزيد طوله الى أكثر من ضعف طوله عند الميلاد ٠ وهو ينمو وفق نظام معين وينمو بكل مقوماته : خلايا المخ ، والجهاز العصبى ، والغدد والعظام والعضلات ٠ كلها تنمو معا ٠

ان الطفل يعجز عن أن يقف ما لم تقوى عظام رجليه لتكون قادرة على حمل جسمه ، وما لم تكبر اقدامه بكيفية تسمح له أن يحفظ توازنه ٠ وهو يمشى أولا قبل أن يجرى ٠

على أن الطفل ينمو نموا خاصا ، وليس تماما وفقا لمعيار نمو الأطفال ٠ واذا كان من المهم أن نحكم على أطفالنا وفقا لهذا المعيار من النمو ، لكننا يجب أن نتذكر أن الطفل يختلف عن الأطفال الآخرين عند ميلاده وفى نموه ٠ واذا حاولنا أن ندفع الطفل الى أكثر من امكانياته ، فنحن قد نسبب له الاحساس باليأس والفشل ونملؤه بالخوف ، فضلا عن أننا نولد فيه الشعور بالضيق والحنق من نحونا٠انتظر قليلا وفى الوقت المناسب ، فانه سوف يقفز أو يتسلق دون أن ندفعه الى ذلك ٠ نحن نرغب لطفلنا أن يقف أو يمشى قبل طفل صديقنا الذى هو فى نفس السن ، أو نرغب لطفلنا أن يكون أكثر منه طولا وأقوى بنية ٠ ان هذه الرغبة قد لا تتفق مع امكانيات الطفل وقدراته ، لذلك قد يفشل الطفل ويجب الا ندينه على فشله ، بل نحن نتحمل مسئولية هذا الفشل ٠

ان صحة الطفل البدنية تؤثر على شخصيته بأكملها ، ولذلك يجب الاهتمام بطعام الطفل وراحته وبكل ما يعمل على حفظ صحته سليما ٠ وفى هذا يلزم الاسترشاد بالنصائح الخاصة بالتغذية وتوفير ما يحتاجه الطفل من أنواع الفيتامينات المختلفة ٠

والطفل عند ولادته(١) يتغذى عن طريق الثدى (لبن الأم) أو المستحضرات الطبية الخاصة للأطفال ٠ ولبن الأم يحتوى على جميع العناصر الغذائية فهو غذاء كامل ، وكذلك المستحضرات الطبية أعدت بطريقة تجعلها تحتوى على العناصر الغذائية ٠ على أن الطفل الذى يتغذى بلبن الأم يكون فى حالة صحية أحسن من الآخر الذى يتغذى على المستحضرات الطبية ، فهذه نلجأ اليها فقط عند الضرورة ٠

وفى الشهر الثالث ، بجانب الرضاعة ، يعطى الطفل ملعقة كبيرة من عصير البرتقال أو الليمون أو الطماطم ، ثلاث مرات يوميا٠

وفى الشهر الرابع ، يضاف الى طعامه ثلاث نقط من فيتامين (د) ثلاث مرات يوميا ٠

وفى الشهر الخامس ، يزداد الطفل فى النمو والحركة فيستحسن استبدال وجبة من الرضاعة بوجبة صناعية ، ويعطى فيها مادة نشوية كدقيق الأرز أو الفواكه المطبوخة أو الموز مدهوكا ٠

وفى الشهر السادس ، تستبدل هذه الوجبة ، ويعطى خضروات مسلوقة بالماء والفول المدمس المدهوك بدون قشر مع صفار بيضة ،

---

(١) فريد حسن :حركة الطفل (المكتبة الثقافية ـ ١٩٦٧) ص ٢٩ ـ ٣٦ ٠

ويستمر مع هذا ، يتناول اللبن وهذه الوجبة الخفيفة الى سن عشرة أشهر ، فيمكن عندئذ اعطاؤه اللحم المفروم أو كبد مسلوق مع بيضة كاملة ثلاث مرات فى الأسبوع بجانب طعامه ، ويزداد بالتدريج ·

وفى تمام السنة ، عند فطام الطفل ، يبدأ فى تنظيم ثلاث وجبات كبيرة ووجبتين صغيرتين على النحو التالى :

١ ــ الفطور : صفار بيض مسلوق ــ بليلة ــ جبن أبيض ــ فول مدمس مدهوك ·

الضحى : « وجبة صغيرة » فاكهة مسلوقة ومصفاة · بسكويت عسل نحل ·

٢ ــ الغذاء : خضر مسلوقة مصفاة ــ بطاطس ــ مكرونة ــ أرز ــ لحم مفروم ــ سمك مسلوق ·

ــ العصر : « وجبة صغيرة » كوب لبن محلى وبسكويت ·

٣ ــ العشاء : لبن زبادى · فاكهة ــ مهلبية ــ جبن ــ فول مدمس ·

ويستمر هذا النظام الى أن يبلغ سن الثانية · وهذه الأنواع التى ذكرت سابقا يمكن اختيـــار المناسب منها للطفل فى الفطور والغذاء والعشاء·

وبعد ذلك يدخل الطفل فى مرحلة الشخص العادى من حيث التغذية ، فتنظم له ثلاث وجبات كاملة ــ متنوعة ·

وبالنسبة للراحة يراعى الآتى(١) :

الراحة بعد أى مجهود ضرورية للطفل ، وتكون بالنهار ، عن طريق الاسترخاء جالسا بدون حركة أو راقدا فى غفلة قصـــيرة ، مع ضرورة نومه مبكرا ، فهو يحتاج الى ساعات طويلة من النوم ، فهو ينام من ١٦ الى ١٩ ساعة يوميا وهو صغير بعد الولادة ، واذا بلغ السادسة احتاج الى ١٠ ساعات ، وأما فى الثانية عشر فلا تقل مدة نومه عن ٨ ساعات · وهذا النوم يساعده على النمو واصـــلاح ما يصيب الأنسجة من تلف ويجدد نشاطه · ويجب أن ينام الطفل فى غرفة تهويتها جيدة بعيدة عن الضوضاء مرتديا ملابس خفيفة ·

(٢) النمو العقلى :

عندما ترفع طفلك بين يديك ، وتنظر الى وجهه ، لا تكاد تتبين أمامك الا جسما بيدين وقدمين تصدر عنه حركات تعبر أحيانا عن رضائه وأحيانا أخرى عن عدم الارتياح · ولكن ليس لديه شىء ما لكى يفكر فيه ، لأن مخه لم ينم بعد ، وليس لديه الوقت ليفكر لأنه ينام عشرين ساعة يوميا · ولكن ما أسرع ما يتغير الحال بالنسبة للطفل ، فندرك اننا ازاء كائن عاقل ذكى ·

وفى وقت مبكر ، يبـــدأ الطفل فى التعرف على شىء ما أو شخص ما سبق له أن رآه ·

ان الطفل فى الأسبوع السادس من عمره ، يعبر عن ارتياحه

(١) المرجع السابق ·

لوجود أمه الى جواره . وما أسرع ما يسترجع الطفل ما قد سمعه ثم يردده . على أنه لا يكتفى فقط بأن يردد ما قد سمع ورأى ولكنه يعطى ذلك كله لونا جديدا ، وينظر اليه من خلال علاقات جديدة .

ويمكن أن نلخص ظاهرة التفكير عند الطفل على النحو التالى(١) :

+ لنضوج قدراته العقلية أوقات خاصة ، وهو يبدأ فى التفكير عندما يجد صعوبة فى الحصول على شىء ما ثم عندما يخاف من شىء ما . وهو يفكر بصورة واضحة عندما تتكون لديه أفكار نتيجة لاحتكاكه بالبيئة التى يعيش فيها . والطفل لا يكتفى بالنظر الى الأشياء التى حوله بل يبذل جهده لتفهمها والتفكير فيها فضلا عن أنه يقوم بعمل مقارنة ، فيقارن مثلا بين أمه وبين صورتها فى المرآة .

+ يعتقد الطفل – نظرا لضيق عقليته ونقص خبراته – فى حيوية الجمادات خصوصا ما كان منها متحركا . ولذلك فهو يخاطب الجمادات ككائنات حية .

+ يعيش الطفل فى عالم المحسوسات ، ولذا يركز فيما يقع تحت حواسه من الأشياء ، وهو يحاول اختيار كل شىء يراه أمامه ، فيذوقه أو يشمه أو يحاول تكسيره .

(١) دكتور محمد خليفه بركات : كيف يفكر الطفل (مجلة حياتك – عدد خاص عن مجلة الأسرة – أكتوبر ١٩٥٨ – ص ٩٧ – ١٠٣) .

+ الطفل فى حياته الأولى يعيش فى عالم محدود ضيق ، ولذا فهو يعتبر نفسه كل شىء فى هذا العالم ، وأن العالم لم يخلق الا لأجله وحده . فالطفل يعتبر نفسه مركزا لهذا العالم الذى وجد فيه ولهذا يرجع كل شىء يتكلم عنه الى نفسه ، ومن الصعب عليه أن يدرك الأشياء بعلاقتها مع غيره . وتستمر ذاتية التفكير عند الطفل حتى سن السابعة ، وبعدها يندمج الطفل فى البيئة التى يعيش فيها ويتسع مجال تفكيره ، فتقل الذاتية ، فى التفكير تدريجيا .

+ كلام الطفل كله أو معظمه يدور حول نفسه فنجده يكلم نفسه ويناقش نفسه ويسأل أسئلة لا ينتظر الجواب عنها بل يجيب عنها لنفسه .

+ ينسب الطفل كل شىء لفائدته، فاذا سئل : ما هو الكرسى؟ فانه يجيب : هو الذى أجلس عليه . ويكثر هذا النوع من الاجابة حوالى سن الخامسة حيث تكون ذاتية التفكير طاغية على الطفل . واذا ما تقدمت معلومات الطفل استطاع أن يدرك علاقة الأشياء بغيره وينتقل الى تعريفها بالتدريج تعريفا صحيحا .

(٣) النمو العاطفى والاجتماعى

وبالنسبة للنمو العاطفى والاجتماعى، فقد كتب الدكتور يوسف مراد ما يلى(١) :

(١) يوسف مراد : مبادىء علم النفس العام (الطبعة الثانية – دار المعارف بمصر ١٩٥٤) ص ٣٥٠ – ٣٥٤ .

- ان نمط السلوك الذى يستخدمه الانسان فى مواقفه من نفسه ومن الآخرين يبدأ يتكون منذ الطفولة ، والانسان لا يتعلم فقط الأساليب الحركية واللفظية بل يتعلم أيضا الاتجاهات العاطفية التى تشكل سـلوكه مع الآخرين : مع والديه وسائر أفراد أسرته ومع أصدقائه ومع زوجته وأولاده ومع زملائه فى العمل وباختصار سلوكه الاجتماعى بوجه عام .

- تتلخص العوامل الوجدانية المحركة للطفل فى مسلكه ، فى دافعين أساسيين متلازمين هما :

الحب (الغريزة الجنسية) .

البغض (الغريزة العدوانية) .

- الدوافع الوجـدانية (الحب والبغض) أكثر مرونة من الدوافع الغريزية وهى قابلة للتشكل بأشكال جديدة ، ويمكن ارجاء أرضائهما وتحويل طاقتهما نحو موضوع آخر ، والصعود بهما الى مستويات أخرى فى النشاط حتى يسهل تحقيق التوازن .

- فى بادىء الأمر يركز الطفل طاقته الحيوية فى جسمه فيكون حبه حبا نرجسيا ، ثم تمتد هذه الطاقة نحو الخارج وتنتشر باحثة عن موضوع خارجى ، وتتركز هذه الطاقة فى الأشخاص المحيطين بالطفل وخاصة فى الأم والأب .

- تتنازع الطفل نزعتان متضـادتان نحو أمه : نزعته الى العدوان (وذلك عنـدما تحاول تهذيب دوافع الطفل فتمثل عامل حرمان وصد تحول دون تحقق المتعة الكاملة) ونزعته الى الاحتفاظ

بحب أمه ، ومن هنا ينشأ الموقف العاطفى المزدوج . وموقف الطفل نحو الأب أيضا موقف مزدوج . ففى نظر الصبى يبدو الأب كالخصم الذى يريد أن يستأثر بحب الأم ، وهو فى الوقت نفسه موضـوع تقدير واحترام لأنه يمثل القوة والقدرة المطلقة ،فهو نموذج للرجولة ، واقتداء الابن بأبيه يساعده على الاستشعار برجولته الناشئة . وعلى الطفل هنا أن ينجح فى التخلص نهائيا من حبه المطلق لأمه ومن نزعته العداونية نحو الأب وذلك بتقمص شخصية أبيه من حيث هو المثال الحى للرجولة والقدرة والنموذج الذى يجب الاقتداء به .

- ويختلف موقف البنت عن الابن ، فهى تتعلق بأبيها لا من حيث هو الأب بل من حيث هو ممثل للجنس الآخر الذى ستتجه نحوه عند استكمال أنوثتها . ومن جهة أخرى موقفا عدوانيا نحو الأم التى كانت متعلقة بها منذ الولادة . وتزهد البنت نهائيا فى أن تكون شبيهة بأخيها .وعلاج الموقف يمكن فى حسن تكييف والديها وسلوكهما السوى بأن يمتاز الأب بالرجولة حقا وبألا تكون الأم مصابة باضطرابات عصابية لكى تكون جديرة بأن تتقمص ابنتها شخصيتها وما تمتاز به من صفات الأنوثة .

ان عناية الوالدين تتركز فى العمل على أن يرتفع الابن أو البنت عن مستوى الحب النرجسى الأنانى والنزعة العدوانية الغاشمة الى مستوى الحب الذى يمنح نفسه بسخاء ويؤثر العطاء على الأخذ ، وعندما تتحرر الجنسية من الأم أو الأب كموضوع لها ، تدخل فى طور الكمون لكى تستأنف نموها فى سن المراهقة ، وعندئذ تكون الطاقة الجنسية محررة من قيودها العائلية وقابلة لأن تتجه نحو موضوعها الطبيعى تلبية لنداء الدافع الذى يكون قد نضج وتحقيقا لبقاء الجنس غير أن طاقة الحب قابلة للاستعلاء ولتركيز شحناتها فى موضوعات

لا تمت الى الجنس بصلة فتزداد النفس ثراء فى مختلف ميادين النشاط الفنى والعلمى والروحى • ومما يساعد ازدهار الشخصية اعلاء الطاقة العدوانية واستخدامها للتفوق فى ميادين المنافسات المشروعة •

(٤) الطفل يصير « شخصا » :

اننا كثيرا ما نتحدث عن « الشخصية » ولكننا لا نعرف معناها بشكل واضح • وفى عبارات بسيطة يمكننا أن نقول أن الشخصية هى أن يصير الفرد مدركا لنفسه ككيان خاص ، منفصلا عن الأفراد الآخرين والأشياء الأخرى •

وفى مراحل تكوين الانية عند الطفل ، لا يميز فى بادىء الأمر بين جسده وبين الأشخاص والأشياء • انه لا يعرف أين يبدأ وأين ينتهى • فصدر أمه بالنسبة له هو جزء منه كأنه قبضة يده ويسمى الدكتور يوسف مراد هذه المرحلة من مراحل النمو بمرحلة «اللاتغاير»، ويصفها على النحو التالى :

— هى المرحلة التى يكون فيها شعور الرضيع محصورا فى الاحساسات الحشوية والاحساسات السطحية التى تثيرها المنبهات الخارجية بدون أن يدرك الرضيع حقيقة هذه الاحساسات ومصدرها • وتستغرق هذه المرحلة الأشهر الأربعة أو الخمسة الأولى حيث تكون الاستجابات منعكسة ومقيدة تمام التقيد بالحاجات العضوية • فلا يميز الرضيع بين جسمه وبين ما يحيط ، من أشياء ، كما أنه لا يميز بين أجزاء جسمه من حيث هى أجزاء لجسمه فيمص أصابع قدمه مثلا كما يمص أى شىء آخر يتنبه فمه • وقد سميت هذه المرحلة بمرحلة

اللاتغاير ، لأن الرضيع لا يميز بين نفسه وبين ما هو مغاير لنفسه(١) •

ها هوذا يجلس أمامنا طفل بلغ عمره ١٥ شهرا • لقد انكفأ الى الأمام ورفع رأسه • ثم لقد صحح وضعه ، وفى حيرة تحسس رأسه بيديه ، ثم انحنى وأخذ يتحسس رأسه عدة مرات محاولا أن يتعرف على هذا الشىء المرفوع ، وماذا يشبه وماذا يحمل له من علاقة • وشيئا فشيئا يبدأ يدرك أن جسمه منفصل عن الأشياء الأخرى وأن أعضاء جسمه ترتبط معا ارتباطا حيويا • وعلى هذا النحو أيضا • يدرك الطفل انفصاله عن الأشخاص الآخرين ، ويصير مدركا لذاته كشخص متميز منفصل ، ويتكون عنده الاحساس باستقلاله • ان الجرو (الكلب الصغير) يصير كلبا دون الحاجة الى انشاء علاقة مع الكلاب الأخرى ، ولكن الطفل لن يصير شخصا فى المعنى الكامل لهذه الكلمة الا من خلال ما ينشأ من علاقة بينه وبين الآخرين • وينمو احساس الطفل بنفسه عندما يبلغ سن الثانية • وكثيرا ما يحاول الطفل أن يؤكد استقلاله عنا • قالت أم عن طفلها الذى لم يبلغ بعد سنتين منذ عدة أسابيع عندما كنت أطلب من ابنى ألا يضع شيئا فى فمه ، كان يبدأ فى وضع هذا الشىء على عينيه ثم يحركه نحو أنفه ثم نحو خده ، ويقترب بقدر الامكان الى الفم ولكنه لا يضعه فى فمه• وهو فى أثناء ذلك ينظر الى بتخفى » • وربما فيما بعد — تأكيد لاحساسه بشخصه ، يضع الشىء فى فمه •

وقال أب : بينما كنت جالسا مع ابنى الذى لم يبلغ بعد سنتين (٢٢ر٥ شهرا) وكنت أقلب صفحات مجلة،كانت فى احدى الصفحات

(١) المرجع السابق ، ص ٣٤٦ •

صورة لطفل كبير ، واذا بالطفل ينظر الى هذه الصـــورة ثم يصرخ « بيبى بيبى » ثم ينتصب فى جلســـته ، ويضع يده على صدره وفى اندهاش يقول أيضا « بيبى بيبى » وهنا يقول الأب لابنه « أنت بيبى » ويبتسم الطفل بالرضى .

ان احساسه بعد بشخصه ، ليس واضحا تماما ، وتأكيده لذاته ليس قويا .

وذات مرة ، طفل لم يبلغ بعد الثالثة من عمره رفع من مهده ووضع فى سرير أخيه الأكبر « تومى » الذى لم يعد يستعمل هـذا السرير . وفى صباح اليوم التالى ، توجه أبوه الى السرير وقال : صباح الخير يا تومى . فأجابه الطفل محتجا : أنا لست تومى أنا « سامى » . وقال الأب : بل أنت تومى ، فهذا سرير تومى ، أنت بكل تأكيد تومى . وفى نظـــرة مرة كان الطفل يؤكد لوالده أنه ليس تومى وأنه سامى ، ثم يشير الى شىء كان يلبسه وحده ولا يشاركه فيه أحد ويقول : انظر هذا . لقد كان هذا الشىء الخاص به والذى كان يلبسه ، هو وسيلة اقناعه لنفسه ولأبيه أنه هو ســامى وليس تومى .

وفى بعض الأحيان تصدر عن الطفل تساؤلات تعبر لحد ما عن عدم تأكده من شخصه ، فيقول الطفل مثلا : لماذا أكون أنا « جون » وليس « بيلى » ، ولماذا أنا لست شجرة ، ويصلى الطفل أحيانا ويقول : يا رب باركنى ، أنت تعرف اسمى ، أنا « هانى » .

على أن الطفل لا يكتسب فقط احساسه بشـــخصه من خلال علاقاته بالآخرين ، ولكنه أيضا يكتسب تقديره لنفسه من خلال نوعية

هذه العلاقات ، فهو يتأثر بنوع الأشخاص الذين يتعامل معهم ونوع تقديرهم ومعاملتهم له . ان السنوات الثلاث الأولى فى حياة الطفل تعتبر سنوات مهمة فى تحقيق نموه « كشخص » .

تصور طفلا قد تعلم أن يمشى حديثا وهو يحس بسرور لأنه قد حقق ذلك ، ولكنه مع هذا يكون غير واثق بنفســـه . وضع هذا الطفل فى حجرة يفصلها عن حجرة أخرى حاجز يمثل عقبة أمام الطفل اذا أراد الانتقال الى الحجرة الثانية . فهل يفكر الطفل أن يخطو فوق هذا الحاجز ، وهل يجرؤ على ذلك ؟ وتصور أن أمه تراه فى هذه اللحظة فتندفع اليه وتصيح فى وجهه طالبة منه أن ينتظرها والا يحاول ذلك من نفسه ، ثم ترفعه بيديها وتعبر به فوق الحاجز . وبعد هذا يمكن للطفل أن يفكر قائلا : اننى لا أســـتطيع أن أفعل شيئا بنفسى فاذا صادفتنى صعوبة فعلى أن ألجأ الى أمى ، واذا لم تساعدنى أمى فاننى سوف أعجز عن عمل شىء ما . ولكن هب ان الأم لم تسرع الى مساعدة طفلها ونظرت اليه فى عدم اكتراث ، فانه يمكن أن يفكر قائلا : ان أمى لاتعبأ بى سواء فعلت أم لم أفعل . انها لا تهتم بى ولا يوجد أحد يساعدنى ، واذن فعلى أن أفعل ذلك بنفسى وأخطو هذا الحاجز بمفردى ، سواء الآن أو فيما بعد . اننى لن أهتم بأمى ولا بالناس أيضا ، وسوف أكون قاسيا فى معاملتى للآخرين مثلما كانوا هم قساة فى معاملتهم لى .

ويمكن للأم أن تقابل موقف التردد من طفلها ، فتخاطبه قائلة: ألا تخجل من نفسك وأنت قد كبرت الى هذا الحد وتعجز عن أن تعبر هذا الحاجز الصغير ؟ ان أخاك عبر هذا الحاجز عندما كان فى سنك .

هذا الكلام يؤثر فى الطفل وقد يفكر فى نفسه قائلا : ان أمى

على صواب فانا اقل قدرة من أخى . ان الحياة تبدو مشكلة أمامى وأنا أحس بالعجز أمامها .

ويمكن للأم أن تشجع ابنها وتقدم له أصبعها أو تقول له : انك بلا شك قادر على أن تخطو هذا الحاجز ، حاول وسوف تنجح .

هذه الكلمات المشجعة من قبل الأم تدفعه لأن يفكر فى نفسه قائلا : بالطبع انى قادر على أن أخطو هذا الحاجز . ان أمى تحبنى والناس أصدقاء لى ويساعدوننى ، وأنا سوف أنشأ على هذا الخلق عينه ما أبهج الحياة ، انها مجال جميل للتعاون والمودة .

ان تقدير الطفل لنفسه يعكس اذن تقدير الآخرين له ونوع معاملتهم وأسلوب تصرفاتهم معه ، ودرجة ثقتهم به ومدى تشجيعهم أو خذلهم له فيما يقدم عليه . ان الفكرة التى يكونها عن نفسه يستمدها أصلا من خلال علاقة الآخرين به وعلى الأخص أقرب هؤلاء الناس صلة به . ان اتجاهات الآخرين نحو الطفل تعكس نوعية نظرته الى نفسه سواء بالاحترام أو الاحتقار . ان نظرته الى نفسه هى انعكاس لنظرة الآخرين اليه . فالطفل يثق بنفسه أو يفقد ثقته بنفسه تبعا لمعاملة الآخرين له . وهو يكون تصورا عن الناس قد يكون جميلا وقد يكون قبيحا ، وذلك من خلال تأثره بمعاملة الآخرين له . ثم هو أيضا يختار لنفسه طريق الحب للآخرين أو طريق الكراهية متأثرا بأسلوب معاملتهم له .

اننا لا ننتظر من أطفالنا أن يفكروا فى استقلال ويتصرفوا فى استقلال ، اذا لم نكن نربيهم على مواجهة المشـاكل ومحاولة حلها بأنفسهم ، واذا كنا نسرع فى مساعدتهم دون أن يحتاجوا هم الى هذه المساعدة أو دون أن يسألونا هذه المساعدة .

علينا أن نتساءل : هل نحب أولادنا حبا خالصا وليس أنانيا أم نحبهم من أجل أنفسنا ؟ هل نحب أولادنا فى ذواتهم أم نحب ذواتنا من خلال أولادنا ؟ هل نحب أولادنا لأن يتفوقوا فى دراستهم من أجل نفعهم أم ليكونوا مجرد مجال لتحقيق احساسنا بالفخر من خلالهم ؟ .

هل نعمل على تشجيع الطفل وبث الثقة فيه وتقدير مجهوده ، أم أطلب منه ما هو فوق طاقته وما يعجز عنه وما لا امكانية له فى تحقيقه ، فيحس بخيبة الأمل والفشل .

هل نعامله بما يجعله يرضى عن نفسه ويرضى عن الآخرين ، ويكون صورة مشرقة عن الحياة ، أم نعامله بما يثير سخطه على نفسه وحقده على الآخرين وتكوين صورة قاتمة عن الحياة .

هل نعامله بما يجعله يحس بمحبة الناس وصداقتهم ، أم بما يحسه بعداوة الناس وعدم مودتهم .

ان الفكرة التى يكونها الطفل عن نفسه من خلال هذه السنوات المبكرة فى حيـــاته ومن خلال اتجاهنا نحوه وأسلوب معاملتنا له ، ليس من السهل عليه أن يغيرها فيما بعد ، بل تظل ملتصقة به تلازمه فى حياته وفى علاقته مع الآخرين وفى علاقته الأسرية مع زوجته وأولاده .

استدعى أحد المربين مئات من الطلبة ، لكى يعرضوا ما يذكرونه من الأحداث المرتبطة بسنواتهم المبكرة ومدى تأثيرها على حياتهم . وكانت الذكريات تتضمن أحداثا متنوعة سارة وغير سارة . واستطاع كثير من الطلبة أن يسترجعوا ذكريات تعود الى ما قبل السادسة ، حدث معظمها فى سن الثالثة أو الرابعة . من بين هذه الأحداث :

السقوط من على الكرسى الى الأرض · الانزلاق على ســــلالم البيت · حرائق · أحداث ارتبطت بمولود جديد · أحداث ارتبطت بموت شخص عزيز · حفلات أعياد الميلاد · رحلات · الانتقال الى مساكن أكثر راحة · لعب الوالدين معهم · اصطحاب الأولاد الى أماكن ممتعة · محبـــة الوالدين لبعضهم · النزاع بين الوالدين · اهمال الوالدين للأطفال · عقاب الأطفال بقسوة وبدون عدالة ··· الى غير ذلك من أحداث كثيرة متنوعة ·

هذه الأحداث التى تقع فى الطفولة هى التى تفسر لنا ما يتعرض له الطفل فى مقبل حياته من الاحساس بالسعادة أو الشقاء ، بالحب أو الكراهية ، بالقلق أو الاطمئنان ، بالاقبال على الحياة برضى أو النفور منها بســخط · ونقدم الآن تقريرا كتبته فتاة ، كنموذج لتقارير مماثلة تصف حياة الطفولة · قالت هذه الفتاة :

ارتديت رداء (فســتانا) أبيض ، ووضعت على شــعرى شريطا أحمر اللون لم تظهر جدتى ارتياحا للشريط الأحمر · كنا فى انتظار أخى الصغير من المستشفى ، وأعد احتفال كبير لهذه المناسبة · وقد طال الانتظار حتى مجىء أخى · وانفتح الباب ودخلت أمى أولا ثم تبعها أبى وهو يحمل أخى الصغير بين يديه · قامت جدتى مسرعة لتحمل الطفل · وضع أبى يده فى يد أمى وصـــعد بها الى الطابق الأعلى · وكنت أسمع الأحاديث التالية فى وقت واحد :

هل أعد سرير للطفل ؟

نعم قد أعد · كل شىء قد أعد

هل ترغب فى شىء ما لتاكله ؟

أفضل كوبا من اللبن ·

لا انى أرغب فى أن آكل شيئا ما قبل العشاء ·

ما أرداه من جو اليوم ، أتمنى أن لا يصاب الطفل بالبرد ·

يا عزيزى · ضع الطفل فى سريره · انه يجب أن ينام وقالت الفتاة : لقد تراجعت الى الوراء حتى يصعد الجميع بالطفل الى الطابق العلوى ، وجلست بمفردى ، وانهمرت الدموع من عينى · ان أحدا لم يظهر أى اهتمام بى فى ذلك اليوم وحتى أمى لم تنظر الى الشريط الأحمر الذى وضعته فى رأسى ·

وأحست الفتاة منذ ذلك الوقت بالحسد تجاه أخيها ، وظلت حتى بعد أن كبرت تحس بأنها فى وضع أدنى منه اذا وجدت معه فى مكان واحد · وهى على الدوام تتوقع من والديها أن يهتما بأخيها ويعتنيا به بينما لا يعيران أى اهتمام لوجودها ·

ان كثيرا من خبرات الطفولة ، على الرغم من تباعد الزمن وعلى الرغم من نسيانها ، تظل تلازم الطفل فى حياته المستقبلة ، وتترك أثرها العميق فى مسلكه وتصرفاته · وتكشف الدراســات النفسية التحليلية عن هذه الحقيقة بكل وضوح ·

يقول الدكتور ملاك جرجس :

ان الأسرة تؤثر فى شخصية الطفل تأثيرا كبيرا ، فنوع العلاقات السائدة فى الأسرة بين الأبوين ، وبينهما وبين الطفل يحدد الى حد كبير نوع شخصية الأطفال · ان الطفل يتفاعل مع مجتمع الأسرة أكثر من تفاعله مع أى مجتمع آخر ، خصوصا فى سنيه الأولى ، ولا ينفصل فى مشاعره عن الأسرة · والطفل يكون فكرته عن نفسه « ذاته » فى بادىء الأمر من علاقته بالأسرة ، فقد يرى نفسه محبوبا ومرغوبا فيه أو منبوذا ، كفؤا أو غير كفء ··· ومن ثم ينشأ راضيا عن نفسه أو

نافرا منها ، أو ساخطا عليها وغير واثق فيها ، فتسود حياته النفسية التوترات والصراعات التى تتميز بمشاعر الضيق والعصبية ومشاعر الذنب والقلق والنقص والرثاء للذات والاكتئاب والضجر(١) .

ويقول أيضا : تدل جميع حالات عصبية الأطفال على أنهم مجنى عليهم من الآباء ومن البيئة التى نشأوا فيها(٢) .

---

(١) دكتور ملاك جرجس : مشاكل أطفالنا النفسية ١٩٧٣ . ص ٣٢ ـ ٣٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٩ .

الحب بعد الالتحاق بالمدرسة

والآن لننتقل مع الطفل من البيت الى المدرسة .

ان المدرسة بالنسبة للطفل مخاطرة كبيرة ، وعلى الأخص اذا لم يكن قد ذهب فيما سبق الى دور الحضانة واذا لم يكن له اخوة أكبر منه قد ذهبوا الى المدرسة وبينوا له ما تتميز به أيام المدرسة من محاسن وامتيازات ، فضلا عن أنهم يقدمون له ما يمكن أن يحتاج اليه من مساعدة .

بعض الأطفال يتقبلون الذهاب الى المدرسة بسرور وسعادة ، وبعضهم بالخوف والتردد . فتاة تسحب يدها من يد أمها وهى تصحبها الى المدرسة لكى تسرع وتجرى أمام أمها لتلحق بالأطفال الآخرين الذين يتقدمونها فى الطريق الى المدرسة ، وأخرى تحاول أن تعود الى البيت ولا تتجه الى المدرسة وتخفى وجهها فى ثوب أمها ثم تشهق بالبكاء . وفى هذه الحالة ، فان الأم ـ احساسا منها بالضيق لأن الفتاة قد أضاعت عليها مشاعر الفخر ـ يمكن أن تصرخ فى وجه ابنتها وتضربها وتهددها بحدة وتقول لها : ألا تخجلين من مثل هذا التصرف، انظرى الى هذه البنت الصغيرة أمامك فانها تمسك بيد أمها . ولن يكون نتيجة ذلك الا استمرار البنت فى بكائها وفى التعلق بثوب أمها .

لقد كان خطأ الأم هنا أنها لم تفهم ابنتها فهما سليما ، وكان

يجب عليها أن تتحقق أن الخوف من المجهول أمر طبيعى ، وهو واحد من المخاوف الرئيسية التى فى قمتها الخوف من الناس،وكان على الأم أيضا أن تعمل على اعداد ابنها اعدادا نفسيا لهذا العالم الجديد الذى يوشك أن يدخل اليه، ولو أن الأم قد فعلت ذلك ، فان شيئا من هذا التصرف لم يكن من المتوقع أن يحدث ٠

يجب أن نعد أطفالنا للمدرسة :

ان الطفل يجب أن يعد لاستقبال « اليوم الأول » فى المدرسة ، علما بأن الخبرات التى ترتبط بهذا اليوم الأول فى الدراسة ، سواء كانت خبرات الارتياح أو الضيق ، تترك أثرها العميق فى اتجاه الطفل نحو المدرسة ونحو التعليم بوجه عام ٠

علينا أن نصحب أولادنا الى المدرسة قبل اليوم الأول من الدراسة ونتجول بهم فى المدرسة ، نوقفهم على مبانيها ، ونعرفهم بأقسامها المختلفة ، ونأخذهم الى مكان اللعب ومكان شرب المياه ، ونقضى معهم بعض الوقت فى مكان الدراسة ونعرفهم على المدرسين ، الى غير ذلك من المحاولات التى نبذلها مع الأطفال ، حتى تتكون لدى الطفل صورة مريحة عن المدرسة ، بل حتى يتولد فيه الشوق ليوم الدراسة ٠

وأما بعد أن تكون قد نجحت فى اعداد طفلك للمدرسة ، وفى اثارة شوقه وتحفزه لليوم الدراسى ، فحاول أن تعمل على أن يتحفظ طفلك على الدوام بهذه المشاعر نحو المدرسة والدراسة ٠ لا تحاول أن تنقد المدرسة أمام طفلك فتخلق فيه اتجاها مضادا للمدرسة ، واذا صادفت طفلك مشاكل خاصة بالمدرسة ، فلتحرص على أن لا تتكلم

بالسوء عن المدرسة فينفر منها ، بل ليسعى الوالدان للاتصال بالمدرسة لدراسة ما يطرأ من مشاكل لأبنائهم والبحث عن الحلول المناسبة لها ٠

هب أن سامى بعد أن بدأ الدراسة بجد ونشاط ، تغير اتجاهه فجأة فلم يعد يرغب فى الذهاب الى المدرسة ، فعليك أن تعرف السبب وربما يكون قد عومل معاملة رديئة من تلميذ أكبر منه سنا وأضخم منه جسما ، أو ربما يكون قد تعرض للسخرية من زملائه بسبب عدم تفهمه لأمر ما ، أو بسبب سوء اجابته ٠ وفى بعض الأحيان ، ربما يحجم الطفل عن الذهاب الى المدرسة لأنه يخشى أن يحدث شىء ما فى البيت ابان وجوده فى المدرسة ، فمثلا : طفل ترك البيت وودع أمه فى الصباح ، فلما رجع لم يجد أمه فى البيت ، فقد اشتد بها المرض ونقلت الى المستشفى ٠ هذا الحدث يمكن أن يخلق فى الطفل الخوف من ترك البيت والذهاب الى المدرسة ٠ اننا يجب اذن أن نحرص على الدوام ، اذا أظهر الطفل استياء من التوجه الى المدرسة ، أن نسأل لماذا ؟ ونحاول أن نجد الاجابة ، ونعرف السبب ٠

على أن اعـــداد الطفل لليوم الدراسى الأول لا يتحقق هكذا بسهولة من مجرد التوجه بالطفل الى المدرسة فى اليوم السابق لليوم الدراسى ، وقضاء فترة من الوقت معه هناك ٠ كيف ننتظر من الطفل أن يتحول فجأة الى « فتى كبير » يمكنه أن يتكيف فى سهولة مع موقفه الجديد ويحتفظ بالاحساس بالسعادة ، على الرغم من ابعاده عن أحضان والديه ، بينما قد عودناه سابقا على البقاء فى البيت وعلى الاعتماد على والديه فى كل شىء ؟ لتعد بذاكرتك الى قصة ذلك الطفل ، التى ذكرناها سابقا ، وقد وجد أمامه حاجزا كان عليه أن يخطو فوقه ٠ سل نفسك الآن : ما هو نوع الفكرة التى هيأت للطفل ليكونها عن نفسه ، قبل أن تطلب من ابنك أن يذهب الى المدرسة لكى يدخل فى

عضوية مجتمع جديد وينشىء علاقات مع أفراد آخرين ليسوا هم الأب أو الأم أو الاخوة أو الأخوات ؟ هل ساعدت طفلك لكى ينشىء علاقاته مع أصدقائه ومع من هم فى سن الطفولة مثله من الجيران والأقارب ، أم أن هذه هى أول مرة يخاطر فيها الطفل بانشاء علاقات مع غيره ٠

ان الأسرة الناجحة فى تربية أولادها ، هى التى توفر للطفل تنمية عاطفته الاجتماعية ، سواء مع أطفال فى نفس المسكن أو تخلق له فرص ومناسبات لتحقيق ذلك ٠

ثم ، كيف كانت معاملتنا للطفل فى البيت ؟ هل ساعدناه على أن يشاركنا فى أعمال البيت ؟٠ ان الطفل يرغب بكل قوة فى ذلك ، ولكننا كثيرا ما نهمل الطفل ولا نحقق له هذه الرغبة فلا نعوده على العمل المشترك،فينزوى فى حجرته أو مكانه منعزلا،يلهوبلعبه، فكيف ننتظر منه أن يقبل بشوق الى المدرسة ليشترك مع الآخرين سواء فى المدرسة أو اللعب ٠

ان الطفل يتأثر بتربيته السابقة فى اختياره الكيفية التى يواجه بها المدرسة ، وكثيرا من أسباب الفشل تعود الى الوالدين والى طريقة تربيتهما للطفل ٠ ان عدم امكان الطفل لأن يتكيف مع وسط المدرسة الجديد ، ويتحمل المسئوليات الجديدة التى ألقيت على عاتقه ، فى كثير من الأحيان لا يعود السبب الى الطفل نفسه بل الى الوالدين والمربين ان كل خبرة جديدة فى الحياة ، يعتمد الطفل فى مواجهتها على الفترات السابقة وخبراته القديمة ٠

على الطفل أن يتمتع بحرية أكبر :

لا تحاول أن تشعر الطفل دائما أنه لا يزال صغيرا وأن عليه أن يكون على الدوام موضع التوجيه والارشاد ٠ اسقط من كلماتك، بعد

أن يصل ابنك الى سن الرابعة أو أقل ، كلمة « الطفل » ٠ خاطبه كفتى فقد كبر ، وأشر اليه كفرد له استقلاله وشخصيته : هناك كثير من الأمهات اللواتى يخلقن فى أولادهن الاحساس بالقصور والنقص فلا تجرؤ الأم لتترك ابنها يباشر بمفرده عملا ما ٠ انها تخشى عليه أن يركب عجلة أو يسير فى الشارع أو يبتعد عنها فى صحبة أصدقائه ٠

وكثيرا ما يشـــكو المشرفون فى المعسكرات ، من أمهات بعض الأطفال ٠ فالأم تتصل تليفونيا بابنها ، لا لكى تطمئن عليه أو تنقل له أخبار الأسرة أو تشجعه فى نشاطه فى رفقة زملائه ، بل لتولد فيه الاحساس المتزايد بالشوق للبيت ، وقد تطلب منه أن يستأذن المشرف فى العودة الى البيت وتقطع عليه نشاطه ٠ وهكذا يحدث أن ينهى طفل أو طفلان فترة نشـــاطهما الصيفى قبل الميعاد المقرر ، ليعودا الى البيت ، وذلك بتحريض من الأم نفسها ٠

ان الطفل يجب أن يتربى على الاحساس بالحرية وامكانية التصرف والاستقلال ، فلا يقيد الوالدان بأغلال وسلاسل تمنع تحركه وتجمد نشاطه ، وتسلبه الحق فى الاحساس بفرديته ٠

اننا اذا منحنا أولادنا من الآن حرية معقولة ، فلن يجدوا فيما بعد مبررا لكى يمارسوا حرية غير معقولة وغير مقبولة ٠

شجع الطفل على أن يكون « نفسه » :

قبل أن يولد الطفل ، نرسم فى مخيلتنا صورة للمولود الجديد وصورة للمستقبل الذى نرجو تحقيقه ٠ وكثيرا ما يرغب الآباء فى أن يكون أبناءهم على نفس الصورة التى كانوا عليها فى سن الصغر ، بل كثيرا ما يرى الآباء فى أبناءهم الأمل فى تحقيق ما لم يستطيعوا

هم تحقيقه فى حياتهم • هب أن أبا أراد أن يكون طبيبا أو مهندسا ولكنه لم يستطع أن يحقق ذلك لنفسه،فهو يوجه ابنه لكى يكون طبيبا أو مهندسا ليس لأن ابنه يريد ذلك ، بل لأنه يريد أن يحقق فى ابنه ما فاته تحقيقه ، وهكذا فاننا فىالواقع لا نفكر فى أبنائنا ومستقبلهم بقدر ما نفكر فى ذواتنا وأهوائنا •

وفى بعض الأحيان ، نقارن الطفل بأخيه الأكبر والأصغر • اننا نقول له : لماذا لا تكون كأخيك « جون » انه لم يسبب لنا أية متاعب ، وهو أيضا على الدوام يتفوق فى مدرسته ويكون فى مقدمة زملائه • مثل هذا الكلام يثير غيظ الأخ وحقده على أخيه ، وقد يسبب فيه الاحساس بالقصور والنقص وبضعف امكانياته ، وربما يتحول الطفل بسبب ذلك الى طفل متمرد أو طفل مشكل •

ان علينا أن نتعرف على امكانيات الطفل ومواهبه ، وعلينا أن نشجعه فى تحقيق هذه الامكانيات ونمتدحه لما أمكنه فعله ، بدلا من أن ندينه ونحكم عليه بسبب ما لم يستطع أن يفعله ، وما ليس فى مقدوره أن ينجزه • بهذا نملأ الطفل بالسعادة والسرور وننتظر منه أن يكون طفلا ناجحا فى البيت وفى المدرسة •

علينا أن نحس بالرضى بسبب نموه :

وقد نحس الآن ــ بعد أن كبر الطفل ــ أن قيادته أصبحت أصعب مما كانت عليه عندما كان صغيرا ، ولكن يجب مع ذلك أن نتقبل نمو الطفل فى سرور ، وستكون المأساة مريرة لو أن نمو الطفل يتوقف فى السادسة • ان جسم الطفل ينمو ويصبح قويا شديد البنية ، نشيطا ، لا يتعب بسرعة ويلعب بكل قوة •

ومهما كانت فكرتنا عن اللعب ، فاننا نعرف أن اللعب هو المفهوم الحقيقى للحياة عند الأطفال ، سواء من كان منهم من الأولاد أو من البنات • وسوف نكون قد فعلنا الصواب لو أننا حرصنا فى الأيام السابقة للدراسة ، أن نوفر لأولادنا مختلف أنواع اللعب مثل : الأرجوحة (المرجيحة) ــ التزحلق ــ لعبة السلالم ، وغيرها •

وفى سن التاسعة يزداد نشاط الطفل فى اللعب أكثر من أى وقت آخر ، وفى نفس الوقت يتجه الى الأفعال التى تستلزم مهارة ، ثم بعد سنة أو سنتين يكون على الاستعداد للاشتراك فى اللعب على شكل فرق •

ان الأولاد يرغبون فى انماء مهاراتهم فى مختلف الألعاب ، ويمكن أن يصرف فتى فى سن العاشرة أو الحادية عشرة ، الساعات وهو يلعب كرة السلة ، وينسى أن يتناول غذاءه وهو ساعيا لأن يحسن مهارته فى اللعب • ومن المستحسن للفتى أو الفتاة ، قبل الدخول فى سن المراهقة (سن الثانية عشرة) أن يتعلم أن يتقن بعض الألعاب الرياضية فهى تناسب هذه السن •

ويكتسب المراهق ثقته بنفسه بتفوقه فى اللعب • والألعاب ، وخاصة التى تنظم فى شكل فرق،تحمل فوائد كثيرة فهى توجه النزاعات والميول العدوانية فى طريق اجتماعى منظم مقبول وتعلم الانسان فضيلة ضبط النفس والشجاعة وسرعة التفكير والتعاون • ان على الأب أن يشارك أبناءه فى اللعب ويساعدهم على اتقان المهارات التى يرغبون فى بلوغها •

اننا يجب أن نوفر لأولادنا مختلف أنواع اللعب التى يحتاجون اليها ويمكن أن نضيف الى ما سبق ذكره الهوايات التالية :

التصوير ـ الرسم ـ الموسيقى ٠

ومن الملاحظ أن الأولاد والبنات يميلون الى عملية « التجمع » ويشهد على ذلك ما يجمعه الطفل فى جيبه أو ما تجمعه الطفلة فى درج دولابها فى حجرة نومها ٠ وهذه الهواية المبكرة يمكن أن توجه لأمر مفيد فى الحياة ، فمثلا يمكن أن نعلم الطفل أن يجمع الورود والطوابع والعملات وغيرها ٠

العقل ينمو :

ان أساس النمو العقلى واتجاهه يتكون بدرجة كبيرة فى الفترة السابقة على المدرسة ٠ وفى المدرسة تدخل مؤثرات جديدة من المدرسين والمواد الدراسية والرحلات والأصدقاء،ويأخذ عالم الطفل فى الاتساع والسمو ٠

وتحتفظ ذاكرة الطفل بقوة الأمور التى تثير اهتمامه ، فاذا وعدت طفلك بأنك سوف تصحبه لمشاهدة مباراة أو للصيد على الشاطىء فانه لا ينسى ٠ ونحن نلاحظ مثلا اهتمام الأولاد بفريقى الأهلى والزمالك وانتماء البعض لأحد الفريقين ، ويكون أولادنا قادرين على أن يحتفظوا فى ذاكرتهم بعدد المرات التى انتصر فيها فريق على الآخر وبعدد الانتصارات فى كل مرة ٠

والأطفال فى ألعابهم، يبتكرون ألعابا تصورية وهمية، فالبنت مثلا،قد تمثل دور الأم أو دور الطفل أو دور المدرسة والولد قد يمثل دور البطل ٠

ومع مرور الوقت سنة بعد سنة ، نلاحظ نموا فى تفكير الطفل وادراكه ٠ نحن نتكلم أحيانا عن سذاجة الطفل الصغير وتصديقه

لكل شىء ، ونتكلم عن نقصه فى الخبرة وعن معرفته المحدودة ٠ على أن عالم الطفل الفكرى يأخذ فى النمو ويأخذ فى الاتجاه نحو الواقعية ٠ انه الآن يستطيع أن يفكر على مستوى أفضل ولديه الآن مجموعة أكبر من الحقائق التى يمكن أن يبنى عليها استنتاجاته ٠ لقد سئلت مرة فتاة فى سن الحادية عشرة ما اذا كانت تحب قراءة قصص خيالية مثل قصة « الجبل الذهب » فأجابت فى استخفاف : أحب أن أقرأها للأطفال ٠

كثيرون من الآباء يظهرون دهشتهم ازاء ما يوجهه الأبناء أحيانا فى سن السابعة والثامنة من أسئلة ، فيتساءل الابن : هل حقا ما يقال بأن الله خلق العالم ؟ وكيف نعرف ذلك ؟ هل القصص التى يذكرها الكتاب المقدس هى قصص حقيقية ؟ وهكذا يبدأ الطفل فى هذه السن بالنظر بدهشة وتساؤل حول قصص الكتاب المقدس التى سبق له وقد تلقنها من والديه أو من أى مصدر آخر ٠

ويشار الى فترة « الحضانة » على أنها فترة « التساؤل » ، وفترة المرحلة « الابتدائية » على أنها فترة « اختفاء التساؤل » ، ولعل الصمت عن التساؤل فى هذه المرحلة يرجع الى أن الصبى قد بدأ يتحقق أننا لا نعرف الا القليل أو لعلنا نحن الذين الزمناه على هذا الصمت ٠ ومن الخطأ أن نسكت الطفل عن التساؤل ، لأنه من خلال هذه التساؤلات يكتسب المعرفة ويتعلم ٠ ان تفتح الطفل للمعرفة يبدأ من خلال أدوات الاستفهام التالية :

ماذا ـ لماذا ـ متى ـ كيف ـ أين ـ من ؟

ولقد شبه أحد المربين أدوات الاستفهام السابقة ، بالمعلمين الأمناء الذين تلقى لديهم تعليمه ٠

ان التعليم ، كما عرف بحق،هو فن المحافظة على حب الاستطلاع عند الطفل.وعلى الرغم من محاولاتنا فى اسكات الطفل عن التساؤل، فانه يظل يحتفظ بحبه للاستطلاع . واذا سكت الطفل عن التساؤل ، فان هذا لا يعنى أنه لا يرغب فى المعرفة ، بل لأن كثيرا من هذه التساؤلات قد أجيب عليها، وهو الآن بعد أن تقدم به السن، يستطيع أن يبحث عن المعرفة عن طريق القراءة ، ولذلك يجب أن نوفر للطفل الكتب التى تفيده .

وربما يمكننا القول ، أن الرغبة فى القراءة تصل الى قمتها عند الطفل ، فى سن حداثته . ان الأولاد يقرءون رغبة فى اكتساب المعرفة أو رغبة فى تقليد الآخرين ، أو لأنهم لا يحسون بالسعادة فيتخذون من القراءة وسيلة للتهرب من الواقع ، أو لأنهم كسالى فيتخذون من القراءة أبسط السبل لتسلية أنفسهم . واذا لم يقرأ الأولاد ، فربما لأن آباءهم لا يقرءون ، أو لم يقرءوا لهم ، أو لأنه لا توجد كتب فى متناول الأولاد أو لأنهم لم يتعلموا كيف يقرءون بفهم ويستفيدون من الكتب أو لأنهم لا يجدون من الكتب التى بين أيديهم ما يناسبهم ويثير اهتمامهم . ومعنى كل هذا أن عالم الكتب قد أغلق عن أولادنا بكل ما فيه من تاريخ وسير وأدب وعلم وفن ، ومن الممكن أن يتعثروا بسبب ذلك ، فى دراستهم العليا .

على أن البعض يروج الكتب الفكاهية الهزلية باعتبارها تناسب الأطفال وتثير اهتمامهم . والحق أن هذه الكتب لا تثير فقط اهتمام الأولاد ، بل أيضا لها الكثير من القراء بين الشباب وكبار السن ، يقرءونها أثناء ركوب الأتوبيس أو القطار . وما أخطر تأثير الكتب على أولادنا ! ويجب أن لا نتركهم يقرءون كل شىء ، فلا بد من عملية اختيار . هناك كتب يجب أن ترفض رفضا باتا ولا يسمح لأولادنا بقراءتها . وكم من كتب دفعت بصغارنا الى ارتكاب الجرائم والى تعلم

السرقة ، وجعلت من أولادنا كائنات شريرة ، وعلمت الأطفال روح الكراهية والحقد والعداوة والاعتداء والاستهتار بالقيم والمثل العليا. وكثيرا ما تطالعنا الصحافة فى هذه الأيام عن السلوك المنحرف الذى يصدر عن الصغار فى المراحل المتقدمة من التعليم . مثل هذا التأثير السىء الذى يمكن أن يتسبب عن قراءة مثل هذه الكتب الرخيصة ، يمكن أيضا أن يتسبب عن البرامج الاذاعية وعلى الأخص مشاهدة التليفزيون ، وما تقدمه من تمثيليات وأفلام غير تربوية تطيح بالقيم والمبادىء السامية .

يجب أن نقيم وزنا لهذه المؤثرات الخارجية كمصادر للتوعية والتعليم ، ويجب أن نصل الى وضع معايير نحكم بها على مثل هذه المؤثرات ، ويمكن أن نخلق عند أطفالنا شوقا أفضل لقراءة الكتب المفيدة فنقدم لهم الكتب القيمة فى طباعة أنيقة جذابة ، ويمكن أن نصدر مجلات خاصة للصغار تقدم للأطفال مع هدايا مناسبة ، كما تفعل الآن بعض مجلات الأطفال . وكثيرا ما يرغب أطفالنا فى شراء هذه المجلات من أجل الهدايا التى توزع معها . كما يمكن أن نضع مسابقات فى قراءة الكتب ، وبذلك نكون قد وجهنا أولادنا توجيها سليما فلا يقرءون الا الكتب التى نطمئن نحن على مادتها ومحتوياتها وما ينتج عنها من تأثير نافع بناء .

ومن ناحية أخرى ، فاننا يجب أن نجعل حياة أولادنا حياة ثرية مسلية ، سواء فى المنزل أو المدرسة أو المجتمع أو الكنيسة ، وبذلك تفقد مثل هذه البرامج غير المفيدة ، التى يمكن أن يقدمها التليفزيون أو الراديو ، جاذبيتها بالنسبة للأطفال ولا يحسون بالحاجة للاقبال عليها .

الأحـــــداث

ان أولادنا من سن التاسعة الى الحادية عشرة ، يتميزون بقوة البدن • ان الحدث يتميز بوفرة الطاقة وصلابة الاتجاه ، ويكون قد اكتسب الاحســـاس الجديد بكونه شخصا ، وينمو عنده اتجاه جديد لمقاومة مطالبنا، كما تتكون لديه روح المغامرة والطيش والتهور وعدم الترو ، انه يندفع ويصارع ويكافح ويغالب ، وكما قيل ، فان يوما تغيب شمسه عليه دون أن يكون قد حارب وصارع وغلب ، لا يكون له قيمة عنده • انه الآن لا يخضع للخوف ويمقت الجبن وينظر اليه كاسوا رذيلة •

ويذكر الكتاب المقدس قصة رحبعام الذى ترك مشورة الشيوخ التى أشاروا بها عليه وقالوا له:» ان صرت عبدا لهذا الشعب وخدمتهم وأجبتهم وكلمتهم كلاما حسنا يكونون لك عبيدا كل الأيام » • أما رحبعام فلم يأخذ بمشورة الشيوخ ولكنه استشار الأحداث الذين نشأوا معه ووقفوا أمامه ، وقال لهم بماذا تشيرون أنتم فنرد جوابا على هذا الشعب الذين كلمونى قائلين : خفف من النير الذى جعله علينا أبوك• فكلمه الأحداث الذين نشأوا معه قائلين : هكذا تقول لهذا الشعب الذين كلمـــوك قائلين ان أباك ثقـــل نيرنا وأما أنت فخفف من نيرنا ، هكذا تقول لهم : ان خنصرى أغلظ من متنى أبى ، والآن أبى حملكم نيرا ثقيلا وأنا أزيد على نيركم ، أبى أدبكم بالسياط وأنا أؤدبكم بالعقارب » (١ مل ١٢ : ٨ ـ ١١) •

وجاء فى سفر التكوين « لأن تصور الانسان شرير منذ حداثته » (تك ٨ : ١٠) •

وقال السيد المسيح لبطرس « الحق الحق أقول لك ، لمـــا كنت أكثر حداثة كنت تمنطق ذاتك وتمشى حيث تشاء ،ولكنك متى شخت فانك تمد يدك وآخر يمنطقك ويحملك حيث لا تشاء » (يو ٢١:١٨)

ويقول الرسول بولس : لا تزجر شيخا بل عظه كأب والأحداث كاخوة والعجائز كأمهات والحدثات كاخوات بكل طهارة » (١تى٥:١)•

الحدث يتجه الى الارتباط بالآخرين :

يسعى الحدث لأن يجد له مكانا فى وسط جماعة أو فرقة ، تتكون من أفراد فى نفس عمره • وهو يهتم بما تقوله البنت عنه ، على أنه لا يرغب فى اللعب معها الآن بل أكثر من ذلك من الممكن أن يستهين بها • انه الآن يعيش فى عالم الرجولة ويستجيب لمطالبه • وهو يرغب فى أن يلبس ما يلبسه رفقاؤه ويتحدث كما يتحدثون ويعمل ما يعملون • وتنتظم هذه الجماعة فى قيادة تسند الى واحد أو اثنين من أفرادها • وتكون هذه الجماعة فى مستوى أخلاقى أقل من مستوى أخلاق أعضائها ، وتعتمد غالبا على اتجاهات قائد الجماعة • ويمكن للأولاد هنا أن ينتظموا فى معسكر ويمارسون بعض الأعمال وقد نجد بعضهم يلقى بالأحجار على عواميد الاضاءة ، ويمكن للبعض الآخر أن يعمل بجدارة فى حرارة الشمس المحرقة لأجل اعداد مكان للعبة التنس أو لعبة الكلف •

ومن خـــلال كل ذلك ، يكتشف الحدث الأخلاق والمسلك الذى

ترتضيه الجماعة وتستحسنه ، وهكذا يتعلم أن يضبط نفسه ويكيفها مع الآخرين • وهو فوق كل ذلك يتعلم كيف يتمتع بالحياة بعيداً عن أسرته • ويمكن أن يكون لهذه الجماعة كلماتها الخاصة ومسلكها الخاص الذى يأخذ به الحدث لكى يحس بالنضج وبانه قد كبر • ولكن للبيت دوره الفعال الذى يمكنه من ان يعدل فى سلوك الأبناء غير السوى • ويذكر أحد المربين أنه قد رأى مرة أحد الأولاد فى أحد المعسكرات يرفض أن تقبله أمه وقد دفع بذراعها بعيدا عنه عندما حاولت أن تحتضنه ، غير أنه قد حدث فيما بعد ، أن هذا الصبى نفسه كان يمسك بيد أمه ويؤرجحها وكان يتمتع بذراع أمه عندماكانت تحتضنه •

البحث عن رفيق :

يبحث الحدث عن رفيق أو صاحب ، ولذلك سوف يكون من المفيد أن توفر للأحداث الوسط المناسب لكى نطمئن على الصديق الذى يختارونه • حاول أن تصحب ابنك الى النادى أو الى المعسكر ليندمج فى مجموعة منتقاة من الرفاق والأصدقاء ويشترك معهم فى أوجه مختلفة من النشاط • ان ابنك سوف يرتبط بواحد من هؤلاء الرفاق وسوف ينشىء معه علاقة قوية • وسوف يلعبان معا ويتزاملان ويرتبطان الى درجة كبيرة •

الميل الى الاعتداء

بعض الأولاد يميلون الى الاعتداء على الآخرين ، فقد ترى ولدا وهو يتوعد طفلا أصغر منه سنا أو أضعف منه بنية ، أو طفلا مسالما ليس على استعداد لأن يدخل معه فى نزاع أو يشترك معه فى معركة •

هذا الولد الذى يميل الى الاعتداء على الغير هو بلا شك يعانى متاعب شخصية • ولكن قد لا يتوفر لنا التعرف على طبيعة هذه المتاعب • وهو بلا شك يحس بعدم اطمئنان ، وبالقصور ، ولذلك فهو يبحث عن شخص آخر يؤكد عن طريقه احساسه بشخصه وبذاتيته مما يجعله يحس باحتوائه لنفسه ، ومن ثم باستقراره النفسى • ومن الممكن أن يكون هذا الولد قد عانى الفشل فى دراسته أو التخلف عن فرقته أو انهزم مرة تلو أخرى أمام منافسه ، أو ربما يكون قد عانى الشك فى حب أمه له لأنها تصرف معظم وقتها وجهدها مع أخيه الصغير المريض • وقد يكون فى قلب هذا الولد احساس عميق بالعداوة تجاه والده أو مدرسه •

وكما نعرف ، من واقع خبراتنا النفسية ، أن المرء يمكن أن يحتفظ بمشاعر متباينة تجاه شخص واحد فى وقت واحد • فنحن يمكننا أن نحب ونكره نفس الشخص فى نفس الوقت • أم تقدم لابنها زجاجة اللبن فيحبها ثم تسحب منه الزجاجة لأنها تعتقد أنه قد تناول منها ما يكفيه، بينما أن الطفل لا يزال جائعا ولذلك يحس بالغضب تجاه أمه • عندما ترفع الأم طفلها وتضمه الى صدرها يشعر نحوها بالحب ولكن يدق جرس التليفون فتنزل ابنها من صدرها لتضعه على كرسيه ، أو تجلس الأم الى زائر مدة طويلة بعيدة عن ابنها ، والطفل يبدأ فى الصياح والبكاء ويتجه نحو أمه بالغضب • وكثيرا ما يختبر الأباء والأمهات هذه المشاعر المتباينة من أولادهم تجاههم • ان الأم كثيرا ما تسمع ابنها يقول لها : انك أم جميلة ولكنك لا تكونى هكذا على الدوام •

على ان الطفل لا يعرف كيف يعالج اتجاهه العدائى نحو الآخرين، وكثيرا ما يحس نتيجة لذلك بالذنب • طفل يحب اباه ولكنه فى بعض

الأحيان يغضب من أبيه وقد يعبر عن سخطه فيتولد فيه الاحساس بالذنب . والطفل لا يعرف هنا أصل هذا الاحساس بالذنب والقلق الذى يصاحبه . كل شىء يكون غامضـــا بالنسبة له وهو لا يحس بالراحة ولا بالسعادة ، ويمكن له أن يفجر روحه العدائية ضد اخوته واخواته أو مدرسيه أو زملائه فى المدرسة، بل قد يسرق الولد أحيانا لكى يعطى فرصة لوالديه لتوبيخه أو عقابه وبذلك يخفف احساسه بالذنب .

ان موقف الأم هنا له تأثير كبير على الطفل ، فان حياته يمكن أن تتعرض للدمار اذا لم يتاكد من حب أمه له ، وعلى العكس فانه يمكن أن يجد علاجا مما يعانيه اذ تأكد من حب أمه له وانها على استعداد لأ نتتقبله على الرغم مما يظهره نحوها من روح عدائية .

من الأمور التى تريح الطفل ، اطمئنانه ، أنه لن يفقد محبة أمه له مهما صدر عنه من تصرفات ، فالطفل قد يثور فى وجه أمه قائلا : أنا أكرهك . ومع ذلك فانه يريد أن يتأكد أن علاقة أمه به تظل قوية لا تضعف وأنها على استعداد لأن تغفر له خطاه . عندما يكون الابن فى حالة غضب شديد يمكن للأم أن تسند لابنها أى عمل يمتص غضبه ، كأن تقدم له مطرقة ليدق بها مسامير .

ومما يساعدنا أيضا على تربية أبنائنا تربية سليمة ، محاولة تجاهل ما يصدر أحيانا عنهم من تصرفات سيئة . طفل يعود من المدرســة ويرعد البيت بمجرد دخوله من الباب . ســوف نسبب متاعب لأنفسنا ومتاعب للطفل اذا نحن حاولنا أن نضع قاعدة للسلوك تقتضى أن يدخل البيت فى هدوء . انه أحيانا يميل الى اثارة الضجيج لأن هذا يكسبه الاحساس بقوته ، فقد ظل وقتا طويلا فى المدرسة يجلس الى درجه يلتزم الهدوء والسكينة التامتين ويخضع لنظام لا يملك

مخالفته، وأما الآن فهو حر وهو عليه أن يعبر عن نفسه بعد أن رفعت السدود التى أعاقت جريان الماء . انه لمن المؤسف ، أن ننكر على أطفالنا حقهم فى أن يعيشوا طفولتهم ونفرض عليهم فى صرامة أن يســـلكوا طرقا معينة ويلتزموا بقواعد محددة . ونحن فى تربيتنا لأولادنا ، لا يراعى الآباء القواعد التى تساعد على نمو الأطفال ، بل كمن يهتم بالأكثر براحتـــه ، ينصرف اهتمام الوالدين للضغط على الأولاد ،حتى لا يتسببوا فى ازعاجهم وحتى فيما يبدونه من هدوء ، يكتسب الآباء مدح الآخرين لهم .

هذا أيضا سوف ينتهى :

يجب ألا نقابل ما يصدر عن أولادنا من تصرفات بقلق وانزعاج . على الآباء أن يطمئنوا أن أكثر ما يصدر عن أطفالهم ، هو طبيعى ، وأن أولادهم لا يشذون فى مسلكهم عن غيرهم من الأطفال .

وهناك أيضـــا أمر آخر يلزم للآباء أن يعرفوه حتى ينظروا بارتياح الى أطفالهم . ان كثير مما نسميه بمشاكل الأطفال ، سوف ينتهى ويتركه الطفل خلفه وهو ينمو الى مرحلة أكثر نضجا .

هناك أمر ثالث أيضا له أهميته بالنسبة للطفل :

انه من المهم جدا أن توجد فى البيت فى الوقت الذى يعود فيه طفلك من المدرسة ، فان هذا يعطيه الاحساس بالطمأنينة ويؤكد له حبك ، وهما (أى الطمأنينة والحب) من الاحتياجات الأساسية لحياة الطفل . ان الطفل الذى يعود من المدرسة ولا يجد أمه فى انتظاره ، لا يرغب فى البقاء فى البيت ، وعلى عكس ذلك ، اذا وجد

الطفل أمه فى انتظاره بالبيت ، فهو سوف يحس بحبها العميق وعطفها البالغ وذلك فى صوتها الحانى وهى ترحب بمقدمه .

قالت طفلة فى سن الثامنة : انى أكاد أجن عندما أعود من مدرستى الى البيت ولا أجد أمى تنتظرنى . ان علماء النفس يؤكدون حاجة الطفل الذى لم يصل بعد الى سن العاشرة الى وجود الأم فى البيت تستقبله بعد رجوعه من المدرسة . ولعل هذه المشكلة هى واحدة من المشاكل الكثيرة التى تواجه الأطفال فى البيت الذى تكون فيه الأم عاملة وتعود الى المنزل فى وقت متأخر عن وقت رجوع الأطفال من المدرسة .

رقم الايداع ١٩٨٥/٥٤٩٤

مطبعة الأنبا رويس